

الأخلاق: بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقديّة



الأخلاق

بين الأديان السماوية
والفلسفة الغربية

(دراسة وصفية تحليلية)

تأليف:

كريمة دوز

دار الكاتب للنشر والتوزيع

Elkateb for Publishing and Distribution



الأخلاق: بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية

تأليف:
كريمة دوز

مراجعة لغوية وتحريرو: محمد عادل

الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٦
رقم الإيداع: ٢٠١٥ / ٢٦٩٣٥
التريقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٤٥-٠٥-٢

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر (دار الكاتب) أو (مركز براهين) وإنما عن وجهة نظر المؤلف.

دار الكاتب للنشر والتوزيع

العنوان: ش شيبين الكوم - الإسماعيلية - مصر

الهاتف: ٠١٢٧١٠٣١٢١٨ (٠٠٢) - ٠١٠١٥٥٧٧٤٦٠ (٠٠٢)

للتواصل: info@dar-alkateb.com - fb.dar-alkateb.com - t.dar-alkateb.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of Publisher.

Dar-Alkateb for Publishing Distribution.

إهداء

أهدي هذا العمل وهذا الجهد المتواضع إلى أحق الناس بصحبتني... إلى من حملتني كرها ووضعتني كرها... إلى من يبتهج قلبي بعذوبة صوتها، منهل العطاء، وينبوع الحنان... إلى الحزن الدافئ... أمي.

إلى أطيب قلب... وأعز مخلوق... مثلي الأعلى وفخري الأكبر... إلى من يعلو به إسمي وتزهو به نفسي... إلى أبي الغالي.

إلى من كانوا سندا لي بعد الله وعدتي أيام شدتي أخواني وأخواتي، وأخص منهم صفي روعي وقرين فكري أخي عبد الغفور إلى براعم الأسرة وطلانع المستقبل أبناء أخي (عبد الرحمان، محمد علي).

إلى صديقاتي الغاليات

(أسية، عائشة، سعاد، هاجر، حفصة، مريم، حسنة، أسماء...).

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع الذي أسأل الله عز وجل أن ينفع به الإسلام والمسلمين وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق أجمعين محمد الصادق الأمين.

كريمة روز



«مركز براهين» لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية هو مركز بحثي مستقل، يعمل كمؤسسة غير ربحية مرخصة في لندن بالمملكة المتحدة، ويعنى فقط بالعمل في المجال البحثي الأكاديمي لتوفير إصدارات متعددة (كتابية - مرئية - سمعية) على درجة عالية من الدقة والموضوعية والتوثيق يسعى من خلالها لتحقيق رسالته.

• رؤية المركز: عالم بلا إلحاد.

• رسالة المركز: المساهمة النوعية في تفكيك الخطاب الإلحادي ونقد مضامينه العلمية والفلسفية وأبعاده التاريخية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية وبناء التصورات الصحيحة عن الدين والإنسان والحياة ومعالجة النوازل العقدية انطلاقاً من أصول الشريعة ومحكمات النصوص كل ذلك بلغة علمية رصينة وأسلوب تربوي هادف.

BRAHEEN CENTER

for Studying Atheism
and Contemporary Issues of Faith

27 Old Gloucester Street, London,
United Kingdom, WC1N 3AX

• سياسة المركز: يعمل المركز بشكل أساسي على نقد أصول ومظاهر الإلحاد الحديث نقداً منهجياً، مع مراعاة البعد النفسي للمتلقين بمختلف فئاتهم، والحرص على تركيز النقد على الأطروحات الأساسية للخطاب الإلحادي الحديث. كما تنتهج مخرجات المركز أساليب الإفحام، والنقض، والدفاع وكذلك أساليب البناء والإقناع والهجوم وتقديم البدائل قدر الإمكان. وتتنحصر مخرجات المركز بشكل رئيسي في ثلاثة مجالات عريضة: علمية، فلسفية، شرعية.

الموقع الرسمي: www.braheen.com

للتواصل والاستفسارات العامة: info@braheen.com

لمراسلة رئيس مجلس الإدارة: alshehri@braheen.com

تويتر: t.braheen.com

فيسبوك: fb.braheen.com

انستجرام: i.braheen.com

يوتيوب: y.braheen.com

لماذا هذا الكتاب؟!

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فلا شك أن الإلحاد الحديث ظاهرة مخيفة، تحتاج ابتداءً إلى خطة معرفية كبيرة لمواجهتها، ومن أبرز الموضوعات الرئيسية في هذه الخطة هو مبحث الأخلاق بتفريعاته، وقد شغل هذا البحثُ الفلاسفة والمفكرين على مرّ العصور، بل يمكن اعتبار الجزء الأعظم من القرنين السابع عشر والثامن عشر كان مكرساً للتحقق من القيمة الخلقية^(١)، وبالطبع تتجلى القيمة المعرفية للإنسان في سلوك يصلح من النفس والعالم، لا سيما أن الإنسان كائن أخلاقي بالطبع، سواء أخلاق جبلية أو مكتسبة، بعد جهاد يرتكز على أساس معرفي أو إيماني، وكانت الأسئلة الأساسية هي: كيف يشتق الإنسان مما هو "كائن بالفعل" ما "ينبغي أن يكون"؟ وما قيمة الحكم الإنساني على الشيء بحسنه أو قبحه؟ وما مرجعه في ذلك؟ وما الغاية من هذا الالتزام الخلقى؟

يولد الإنسان وعنده استعداد سيكولوجي للالتزام بقواعد ما، فلكي يدخل في مجتمعه لا بد أن يلتزم ضمناً بقواعده، فالطفل يكتسب انطباعات ذاتية جداً عن العالم معرفياً وأخلاقياً، قبل أن يتبع القواعد المتضمنة في لغة وسلوك مجتمعه، إلى أن يندمج هذا الانطباع مع قواعد/أخلاق مجتمعه بدفع من هذا الاستعداد.^(٢) أما

(١) محمود السيد أحمد، الأخلاق عند هيوم، ص ١٦.

(٢) انظر الكتاب القيم لجان بياجيه بعنوان: الحكم الخلقى عند الأطفال، ترجمة: محمد

خيرى حربي.

المجتمع نفسه فبحاجة إلى عُرف أو أخلاق باطنية أو دين أو فلسفة ما يتحرك على أساسها القانون، فالقانون بمفرده لا يمكن أن يسيطر على الإنسان ولا أن يجلب الخير له إلا بعد تعريف راسخ في وجدان المجتمع عن معنى الخير وجدوى الفعل الخيري، وبناء على ذلك فالأخلاق حاجة ملحة للإنسان، تجعله يوفق بين حاجاته وحاجات الجمع، بل تجعله يخاطر بنفسه لخير يعلو خيرات آنية، لذلك فلا بد أن تكون الأخلاق نفسها بحاجة إلى مصدر وجداني دائم، فهو يختار بين دين - كما فعلت جماهير بني آدم- أو فلسفة يضعها رجل ثم يهدمها غيره، وإلا فحياة بهيمية لا محالة. ومن البين أن الإيمان باليوم الآخر وسماوية الأخلاق أعمق وأكثر اتساقا معرفيا ونفسيا، وقد أكد كبار علماء الاجتماع على الوظيفة المهمة للدين -كدوركايم وغيره- رغم تصورهم التطوري عن المجتمعات؛ ذلك التصور الذي يقول بأن المجتمعات تطورت من الخرافة والأديان إلى المادية!^(٣)

أما في هذا العصر فقد نازع البيولوجيون وعلماء الأعصاب الفلاسفة واللاهوتيين في مفهومهم عن الأخلاق، وقد جلب ذلك أسئلة وحوارات طويلة عن المشكلات البشرية الكبرى؛ كحرية الإرادة، ومعنى الشر.. وغير ذلك. أما البيولوجيا فهي تهدم أي حس خلقي قطعاً، وكل من يؤمن بالتطور لديه إشكال كبير للغاية مع أي نقطة أخلاقية في ضميره، فشتان بين دين يقول بأن الاهتمام بالضعفاء والإحسان إليهم سبب للنصر والرزق^(٤)، وبين من لا يمتلك أدنى حجة لإدانة قتل طفل لمجرد إعاقته.

(٣) انظر كتاب علم الاجتماع الديني لسابينو أكوافيفيا وإنزو باتشي، ترجمة عز الدين عناية.

(٤) صحيح البخاري حديث رقم ٢٨٩٦، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

وقد اعترف الإلحاد الحديث بهذا المأزق الأخلاقي، فاعترف دوكينز بالصعوبة الكبيرة أمام تأسيس قيم على أرضية غير دينية^(٥)، وهذا أمر ظاهر لا يحتاج لتدليل، فالعلم الطبيعي يلعب في حقل مختلف تماما عن الضمير والوعي والمعنى.

رغم ذلك، تشهد الساحة الفكرية محاولات شرسة لبعض علماء الأعصاب والإدراك، لاختزال الأخلاق والمعارف التجريدية المعقدة في الدماغ، والحديث عن الأخلاق باعتبارها فقط استجابة عصبية سلوكية كالجوع والعطش، وهو باب شبه فارغ عربيا، رغم المناقشات والأبحاث الكثيرة في هذا الباب.

لأجل كل ذلك، كان لابد من فتح باب البحث والتأليف في ملف الأخلاق على مصراعيه، وكان لابد في البداية أيضا من مدخل نظري لمعنى الأخلاق في الدين ومصدرها، وتأمين الدين لها بالمقارنة مع الفلسفة، كجزء تمهيدي لمعالجة هذا الفرع الهائل من زواياه المختلفة، وقد وفقت الباحثة في تقديم تلك المادة التي نسأل الله أن ينفع بها القراء، وأن يوفقنا وينفعنا وينفع بنا.

رضا زيدوخ

مدير قسم البحوث الفلسفية بمركز براهين

(٥) دوكينز، وهم الإله، ص ٢٣٢.

مُقَلَّمَاتُ

مقدمتہ

الحمد لله الذي كلف رسله بهداية العالمين، وأنزل كتبه بالحق المبين، فكانت سراجاً ينير طريق المؤمنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تعتبر الأخلاق أساس البناء الحضاري والتقدم البشري، فهي قطب الرحي والدعامة الأساسية، التي تقوم عليها حياة الفرد والمجتمع، وما سلوك الإنسان القويم إلا تعبير عن تمثله للقيم السامية التي تميزه عن الحيوان، وتخرجه من دائرة البهيمية.

وقد ميّز الله تعالى الإنسان وخصه عن سائر المخلوقات بالعقل، الذي يُخلِّق بواسطته في سماء المثالية متحلياً بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، محققاً بذلك التوازن النفسي الذي يجعله مستمراً في حياته كإنسان عاقل يدرك أفعاله، ويميز بين ما هو خير وشر لإنسانيته.

لذلك جاءت الرسالات السماوية داعيةً في جوهرها إلى الفضائل الأخلاقية، ومؤكدةً على ضرورة إقامة المجتمعات على قيم ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والأحوال، فكان هدفها في كل ذلك بثّ القيم و الفضائل في نفس الإنسان، والسمو به إلى أعلى مراتب الفضيلة، والترفع به عن الرذائل المقيتة، فنادت كل واحدة منها بمبادئ وقيم يكمل بعضها بعضاً إلى أن ختمها الله جل وعلا برسالة الإسلام على يد نبيه ﷺ متممة بذلك الصّرح الأخلاقي الذي بنته الأديان الأخرى، وقد أشار النبي ﷺ لهذه الحقيقة بقوله: "إنما بُعثت؛ لأتمّم مكارم الأخلاق".^(١)

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: أحمد أعراب، طبعة (١٤١١هـ -

١٩٩١م)، ج(٢٤)، ص(٣٣٣)

وقد كان الرسل صلوات الله عليهم جميعاً، يدعون أقوامهم إلى التحلي بفضائل الأعمال واجتناب المنكرات، لذلك لم تقتصر دعوتهم كما يظنُّ البعض على مجرد التوحيد وعبادة الله فقط، بل امتدت ظلّالها إلى تركية النفس وإصلاحها، بالنهي عن الرذائل ومحاربة الانحلال والفوضى الخلقية، التي من شأنها أن تقضي على أخلاقية الإنسان، وما دعوة لوط عليه السلام لقومه وجميع الأنبياء الآخرين إلا خير برهان على اهتمام الأديان بإصلاح العيوب الأخلاقية، التي قد تُفسد المجتمع وتمزق كيانه الروحي.

وهكذا سارت الأديان السماوية موازنة بين العقيدة والعبادة والأخلاق، داعيةً إلى أخلاق ثابتة غير متقلبة بتقلب الإنسان في حياته المادية، مستندةً في ذلك على الوحي الإلهي، الذي تسير عليه في إقرار الأخلاق بين الناس، راسمةً المنهج الرباني الذي يحقق السعادة الإنسانية في الحال والمآل.

ولم تكن الأخلاق دعوة الأديان السماوية فقط، بل كانت محط اهتمام الفلاسفة الذين نحى بعضهم بالأخلاق منحنًا عقلياً، فتضاربت آراؤهم واتجاهاتهم بين من أقرّ ثبات الأخلاق، وبين من رأى فيها علمًا نسبيًا يتغير بتغير الزمان والمكان، بل ويتبدل بحسب منافع الإنسان، وما تحقّقه له هذه الأخلاق من لذات وشهوات تشبع غريزته.

وتظهر هذه الاتجاهات بجلاء في بعض المذاهب الأخلاقية في الفلسفة الغربية، التي تأثرت بالتقدم العلمي الذي وصلت إليه أوروبا بفضل العلوم التجريبية، ومن ثم عملت على صياغة نظريات أخلاقية، تتمشى مع المادية التي أنتجت لنا إنساناً مطبوعاً بطابع الأنانية والمنفعة والسعي وراء المادة، فبات الإنسان الغربي بناءً على هذه المذاهب مضطرب الأخلاق والسلوك.

من خلال هذا التباين بين الأخلاق الدينية المستندة على الوحي الإلهي، والأخلاق الفلسفية المبنية على العقل، حاولت أن أصوغ موضوعاً يتناول الجانبين الاثنين بالدراسة التي عنوانتها بـ"الأخلاق في الأديان السماوية الثلاث والفلسفة الغربية"، راجيةً من الله تعالى أن ينفعني وينفعكم بها.

• أهمية الموضوع

إذا كانت الأخلاق هي الركيزة التي تقوم عليها الحضارات وتبنى بها الأمم، فإن دراستها تكون ضرورية لما قد نستشفه منها من مكامن القصور والخلل في تلك الحضارات أحياناً، والازدهار والرقى في بعضها أحياناً أخرى، بل ستكون المرآة التي نكشف بها عن جوهر الإنسان باعتبار ما يؤمن به من عقائد، أو فلسفات تُؤثر فيه وفي سلوكه الأخلاقي باعتباره جزء من الإطار الذي تحكمه.

كما أنّ الواقع المعاصر وما فيه من صراعات وحروب وتفكك، يجعل من هذه الدراسة أمراً ملحاً نستوعب من خلاله أصل الأزمة الأخلاقية الحاصلة، والانهيال القيمي في التعامل بين الأفراد والجماعات الإنسانية.

فهذه الأسباب تعتبر مبرراً موضوعياً؛ للاهتمام بموضوع الأخلاق في الديانات السماوية والفلسفة الغربية، لاسيما وأنّ كل واحدة منها، قد تناولت الأخلاق من زاوية تعاكس فيها الأخرى، فهي وإن كانت متحدة من حيث موضوع البحث إلا أنها قد اختلفت في نتائجه، التي ستكون لها آثارها سواء على الفرد أو المجتمع.

• دوافع اختيار الموضوع

أولاً: الرغبة في أن تكون دراستي مرتبطة بموضوع تنقاسمه كل من الأديان السماوية الثلاث والفلسفة الغربية، ولذلك كان اختيار موضوع الأخلاق باعتباره جزء من الدراسة الدينية والفلسفية على السواء.

ثانياً: الرغبة في بيان الأخلاق التي جاءت بها الأديان السماوية، ومعرفة الفضائل التي أرستها في المجتمعات التي ظهرت فيها، بالإضافة إلى بيان ما ورد في الكتب المقدسة من نصوص أخلاقية تدعو إلى مكارم الأخلاق وتنهى عن الرذائل التي من شأنها أن تهدم الحياة الإنسانية، لتحل محلها الحياة البهيمية التي لا هم لها سوى إرواء النزوات والذات.

ثالثاً: الرغبة في الوقوف على ما أنتجته الفلسفة الغربية من مذاهب أخلاقية عبر تاريخ، والتي كان لها الأثر في تشكيل الفكر الغربي وبناء حضارته.

وأخيراً: الإسهام بهذا الموضوع المتواضع في إتمام الدراسات السابقة، التي انصبت جهودها على دراسة الأخلاق في الدين والفلسفة مع محاولة بيان الصلة التي تربط الأخلاق بكل منهما.

• إشكالية البحث

إذا كانت الأخلاق كما رأينا موضوع الأديان السماوية والفلسفة الغربية، فإنّ دراستها تطرح مجموعة من الإشكالات والتساؤلات، التي يُمكننا من خلالها فهم المسار الأخلاقي في كل منها، ومن الأسئلة الملحة التي حاول الموضوع الإجابة عنها:

- كيف عالجت كل من الأديان السماوية والفلسفة الغربية القضايا الأخلاقية؟
- أو بالأحرى كيف نظرت الأديان السماوية والفلسفة الغربية إلى الأخلاق؟
- وهل كان للاختلاف في مرجعية الأخلاق دور في تغير معنى الفضيلة والقيم الإنسانية؟

ولا أزعم أنني أجبت على كل ما يطرحه الموضوع من إشكالات وتساؤلات، لكنني حاولت جاهدةً أن أعرض كل الأفكار التي استطعت الوصول إليها، راجيةً من الله تعالى الإخلاص لوجهه في هذه الدراسة، كما أسأله العون والسداد، واجتناب الزلل.

• خطة البحث

اقتضت طبيعة الموضوع أن أقسمه إلى مقدمةٍ وثلاثة فصول وخاتمة:

أمَّا المقدمة فقد تطرقت فيها إلى بيان أهمية الموضوع، ودوافع البحث، بالإضافة إلى الإشكالية التي تتمحور حولها هذه الدراسة، ثم اتبعتها بخطة العمل، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، وأخيرًا ذكرت أهم الصعوبات التي واجهتني في إعداد الموضوع.

○ الفصل الأول: عنونته بـ"مقدمات في علم الأخلاق" وقسمته إلى أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول تعريف علم الأخلاق، وتطرقت في المبحث الثاني إلى بيان موضوع وغاية هذا العلم، أمَّا المبحث الثالث فقد أبرزت فيه طبيعة هذا العلم، والمبحث الرابع أبرزت فيه العلاقة التي تربط الأخلاق بالدين والفلسفة.

○ الفصل الثاني: عنونته بـ"الأخلاق في الأديان السماوية الثلاث"، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، تطرقت في المبحث الأول إلى دراسة الأخلاق في الديانة اليهودية، وفي المبحث الثاني تناولت الأخلاق في الديانة المسيحية، أمَّا المبحث الثالث فقد سلطت فيه الضوء على الأخلاق في الإسلام.

○ الفصل الثالث: عنوانه بـ"الأخلاق في الفلسفة الغربية"، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول الأخلاق في الفلسفة اليونانية، وتطرق في المبحث الثاني إلى الأخلاق في الفلسفة الهلنستية، أما المبحث الأخير فقد خصصته لدراسة الأخلاق في الفلسفة الحديثة.

○ الخاتمة: تناولت فيها أهم الخلاصات والاستنتاجات التي خرجتُ بها من هذا البحث.

• منهجية البحث

لقد بذلت وسعي أن أتبع منهجًا علميًا، يتوخى الموضوعية غير مشوب بالتعصب والتحيز لرأي معين، فحرصت أن أدرس كل جزئية من جزئيات البحث دراسة غير صادرة عن رأي أنتصر له، أو فكرة أتحمس لها، وقد اقتضت طبيعة البحث أن أنهج منهجين:

المنهج الوصفي التحليلي: وذلك بعرض الأفكار وتحليل مضمون النصوص الفلسفية والدينية وفق خطة منهجية؛ قصد الوقوف على جزئيات الموضوع، والكشف عن حقائقه في كل من الأديان السماوية والفلسفة الغربية.

المنهج المقارن: وذلك بمقارنة قضايا أخلاقية تشترك أحيانًا بين الأديان السماوية، وأحيانًا أخرى بين آراء الفلاسفة.

• الدراسات السابقة

ليس موضوع الأخلاق في الأديان السماوية والفلسفة الغربية بالأمر الجديد، بل إن دراسة الأخلاق لقيت حظًا وافرًا من عناية الباحثين والكتّاب، فمنهم من تناول

هذه القضية من الجانب الفلسفي فأخذ يبحث في المذاهب الفلسفية الغربية مستعرضاً ما جاء فيها من نظريات أخلاقية أمثال أندريه كريسون، الذي حاول من خلال كتابه "المشكلة الأخلاقية والفلاسفة" أن يعرض التطور التاريخي الذي مرّت به الأخلاق منذ الفلسفة اليونانية إلى المذاهب الأخلاقية الحديثة، وكذلك مؤرخ علم الأخلاق هـ. سدجويك، الذي عرض من خلال كتابه "المجمل في تاريخ علم الأخلاق" جل المذاهب الأخلاقية التي عنت بالدرس الأخلاقي في أوروبا، وتجدر الإشارة أن الكاتبين لم يغفلا عن تناول الأخلاق التي طبعت كلا من الديانة اليهودية والمسيحية.

أما فيما يتعلق بالدراسات التي تناولت الأخلاق من الجانب الديني، فقد استفدت من دراسة عبد الله دراز للأخلاق من خلال كتابه "دستور الأخلاق في القرآن" و"مدخل إلى القرآن الكريم" حيث قام في هذا الأخير بمقارنة بين الأخلاق الواردة في كل من الديانة الإسلامية والأخرى الواردة في اليهودية والمسيحية، ولا تغفل عن الدراسات المعاصرة، التي تناولت الأخلاق من الجانبين الديني والفلسفي، والمتمثلة في دراسات طه عبد الرحمن من خلال كتابه "سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائث الغربية" وكذلك كتابه "بؤس الدهرانية: النقد الانتمائي لفصل الأخلاق عن الدين".

وقد حاولت من خلال هذه الدراسات أن أصوغ فكرة عامة حول الموضوع تساعدني على الإحاطة بجوانبه المتشعبة محاولة التركيز على الأديان الثلاث، بالإضافة إلى دراسة الأخلاق عند بعض الفلاسفة الغربيين

• صعوبات البحث

لا يخلو أي بحث من صعوبات قد يتعرض لها الباحث في دراسة موضوعه، سواء تعلّق الأمر بجمع المادة العلمية التي يحتاجها الباحث في دراسته، أو أجزاء

الموضوع التي يستعصي فهمها أحياناً أخرى، ومن أبرز الصعوبات التي ظهرت في طريق البحث:

١) تعقد الموضوع وتشعبه، بسبب توسع دائرة الأخلاق وتعدد مشكلاتها سواء في الأديان السماوية أو الفلسفة الغربية.

٢) صعوبة التعامل مع بعض النصوص الفلسفية التي تحتوي على مصطلحات تستعصي على أي باحث غير ملم بالفلسفة ومواضيعها المتشعبة، الأمر الذي يضطرني للرجوع إلى المعاجم الفلسفية؛ قصد الاطلاع على كنه تلك المصطلحات.

هذا وقد كان في إشراف الأستاذ الفاضل / سيدي محمد زهير - حفظه الله تعالى - عوناً على الصبر وتجاوز الصعوبات، فله جميل الشكر على ذلك، والله الحمد الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

وبالله التوفيق

خاتمة

بعد هذه الجولة السريعة والوقفات الدقيقة التي حاولت من خلالها أن أجيّب قدر الإمكان عن الإشكالات التي تمّ طرحها في مقدمة الموضوع، يتضح لنا أن الفكر الأخلاقي ليس حكراً على ثقافة إنسانية دون أخرى، بل إن الأخلاق شغلت فكر الإنسان منذ القدم فحاول أن يبحث عن سبل السعادة والفضائل التي تحقق الاستقرار النفسي والاجتماعي له، وبهذا اتحدت كل من الفلسفة والدين في وضع قواعد أخلاقية تسيّر عليها البشرية في تنظيم حياتها الإنسانية على أسس من القيم والمبادئ العليا، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث المتواضع:

- أن علم الأخلاق علم معياري يدرس الأخلاق كما ينبغي أن تكون عليها الإنسانية، دون أن يعير الاهتمام بما عليه أخلاق الناس، لذلك كانت غاية هذا العلم وضع حلول نظرية للمشكلات الأخلاقية، ومحاولة بعثها في النفوس البشرية من أجل الارتقاء بأخلاق الفرد والمجتمع.
- لم تكن عناية الأديان السماوية متعلقة بالتوحيد والعبادة فقط، بل كانت تجمع بين الجانب العقدي التبعدي والجانب الأخلاقي، بحيث تسيّر هذه العناصر الثلاث متجانسة في نفس كل فرد، وبذلك قامت الأخلاق الدينية على أسس ثابتة لا يمكن تبديلها وتغييرها مهما تغيرت ظروف الإنسان وأحواله، مستندة في

كل ذلك على الوحي الإلهي الذي يرسم الطريق الأخلاقي للإنسان، منظمة الحياة الإنسانية على أسس المحبة والرحمة.

● دعت اليهودية من خلال التوراة والتلمود إلى مكارم الأخلاق ونهت عن الرذائل التي من شأنها أن تقوض النظام العام للمجتمع، غير أن جل تلك المكارم والقيم المثالية لا تطبق بحسب بعض النصوص التوراتية والتلمودية إلا مع اليهودي، وبهذا كانت تلك القيم والمثل العليا لا تتعدى حدود الجماعة اليهودية.

● أحدثت المسيحية من خلال العهد الجديد ثورة على بعض الأخلاق الواردة في الناموس اليهودي فأعلنت ميلادًا جديدًا لبعض القيم الإنسانية التي غيبت في العهد القديم، جاعلة من خلق المحبة الأساس الذي تقوم عليه جل المبادئ المسيحية، فكان لها الفضل في إسقاط ذلك الحاجز الذي يفصل الإنسان عن أخيه الإنسان.

● أن الأخلاق الإسلامية لم تكن مجرد دروس نظرية تلقى أو قصص أخلاقية تروى، وإنما كانت مبنية على التطبيق العملي المتمثل في ممارسة النبي ﷺ الأخلاقية، بحيث كان ولا يزال ﷺ نموذجًا عمليًا لإمكانية تطبيق ما ورد في القرآن الكريم والسنة من أخلاق وقيم.

● أخذت الأخلاق الإسلامية موقف الوسط بين اليهودية التي ضيقت من محيطها الأخلاقي، وبين المسيحية التي أهملت عناصر جماعتها مقابل المحبة الإنسانية، فالإسلام وفق بين الأخلاق التي توطد أواصر المجتمع الإسلامي وبين الأخلاق العالمية التي يجب أن يلقي به المسلم غيره من البشر، وهكذا استطاع الإسلام أن يعزز الأخلاق في نفوس معتنقيه دون أن يهمل البعد الإنساني للقيم والمثل العليا.

● تعدد الاتجاهات الأخلاقية في الفلسفة الغربية، واختلاف مشارب الفلاسفة في تناول القضايا الأخلاقية، لكن هذا التضارب الظاهر لا يعني تغير المصدر الأخلاقي عند الفلاسفة، ذلك أن العقل كان منذ الفلسفة اليونانية وحتى الفلسفة الحديثة هو المصدر الذي تستمد منه الأخلاق.

● أدى بناء الأخلاق على الأسس العقلية إلى شذوذ بعض المذاهب الأخلاقية في الفلسفة الغربية، فكان من نتائج ذلك ربط الأخلاق بكل ما يحقق السعادة المادية للإنسان من لذات وشهوات ظرفية قد تغيب بمجرد إشباعها وتعاود الرجوع مرة أخرى، بل إن درجة الأخلاق أصبحت تقاس حسب بعض هذه المذاهب بكل ما يحقق النفع والمصلحة للإنسان الذي يغير ثوب الفضيلة كلما تغيرت ظروفه وأحواله.

● كان لما وصلت إليه أوروبا من تقدم علمي الأثر الواضح في ظهور بعض المذاهب الأخلاقية التي نادى بفصل الأخلاق عن الدين وبهدم أي تصور معياري للأخلاق، وهكذا لم يعد مجال للحديث عن قيم ثابتة تسيّر عليها البشرية في تحديد مبادئها الأخلاقية، الأمر الذي سيؤدي إلى هدم القوانين الأخلاقية وإشاعة الفوضى والانحلال الخلقي في المجتمعات، ليصير الناس كهائم يعيشون على هواهم ووفق ما يرونه خيرًا أو شرًا لهم.

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث المتواضع، والحق أقول أنني ما من مرة أعدت قراءة البحث إلا واستعدت قول القاضي عبد الرحيم البيساني "أنني رأيت أنه لا يكتب إنسان في يومه إلا قال في غده لو غيرت

هذا لكان أحسن، ولو زدت هذا لكان يستحسن، ولو قدّمت هذا لكان أفضل، ولو تركت هذا لكان أجمل".^(١)

وفي الختام أعتز أن هذه المحاولة هي أول سلم في مسيرة البحث العلمي الجاد، لذلك فإن ما توصلت إليه من نتائج يحتاج إلى إكمال وتسديد، كما يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة خصوصاً وأن الأخلاق ليست موضوع الأديان السماوية والفلسفة الغربية وإنما موضوع الإنسانية جمعاء.

وإنني أبتهل إلى المولى القدير أن أكون قد وفقت في هذا البحث، كما أرجو من الله تعالى أن ينفع بهذه الدراسة الإسلام والمسلمين.

والحمد لله رب العالمين

(١) أبجد العلوم، صديق بن حسن القنوجي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق-سوريا (١٩٧٨م)،
(بدون طبعة)

الفهرس

الموضوع	الصفحة
لماذا هذا الكتاب؟!	١٠

مقدمة

مقدمة	١٢
أهمية الموضوع	١٤
دوافع اختيار الموضوع	١٥
إشكالية البحث	١٥
خطة البحث	١٦
منهجية البحث	١٧
الدراسات السابقة	١٧

الفصل الأول

مقدمات في علم الأخلاق

- مقدمات في علم الأخلاق ٢١
- المبحث الأول: تعريف علم الأخلاق ٢٢
- المطلب الأول: تعريف علم الأخلاق باعتبار المركب الإضافي ٢٢
- المطلب الثاني: تعريف علم الأخلاق ٣١
- المبحث الثاني: علم الأخلاق موضوعه وغايته ٣٨
- المطلب الأول: موضوع علم الأخلاق ٣٨
- المطلب الثاني: غاية علم الأخلاق ٤١
- المبحث الثالث: الأخلاق بين النظر والعمل ٤٤
- المطلب الأول: الأخلاق النظرية ٤٤
- المطلب الثاني: الأخلاق العملية ٤٦
- المبحث الرابع: الأخلاق بين الدين والفلسفة ٤٩
- المطلب الأول: الأخلاق والدين ٤٩
- المطلب الثاني: الأخلاق والفلسفة ٦٢

الفصل الثاني

الأخلاق في الأديان السماوية

الأخلاق في الأديان السماوية	٧٢
المبحث الأول: الأخلاق في اليهودية	٧٤
المطلب الأول: المصدر الأخلاقي في الفكر اليهودي	٧٤
المطلب الثاني: الأخلاق في التوراة	٩٠
المطلب الثالث: الأخلاق في التلمود	١١٠
المبحث الثاني: الأخلاق في المسيحية	١٢٢
المطلب الأول: المصدر الأخلاقي في المسيحية	١٢٢
المطلب الثاني: الأخلاق في العهد الجديد	١٢٨
المطلب الثالث: خصائص الأخلاق في المسيحية	١٤٢
المبحث الثالث: الأخلاق في الإسلام	١٤٨
تمهيد: الأخلاق في العصر الجاهلي	١٤٩
المطلب الأول: الأخلاق في القرآن الكريم	١٥٣
المطلب الثاني: الأخلاق في السنة النبوية المشرفة	١٧٠
المطلب الثالث: الأخلاق الإسلامية والعلاقة مع الآخر	١٨٨

الفصل الثالث

الأخلاق في الفلسفة الغربية

الأخلاق في الفلسفة الغربية	١٩٨
المبحث الأول: الأخلاق في الفلسفة اليونانية	١٩٩
المطلب الأول: الأخلاق عند سقراط	٢٠٠
المطلب الثاني: الأخلاق عند أفلاطون	٢١٣
المطلب الثالث: الأخلاق عند أرسطو	٢٢٤
المبحث الثاني: الأخلاق في الفلسفة الهلنستية	٢٣٤
المطلب الأول: الأخلاق عند أبيقور	٢٣٤
المطلب الثاني: الأخلاق عند الرواقيين	٢٤٥
المبحث الثالث: الأخلاق في الفلسفة الحديثة	٢٥٥
المطلب الأول: الأخلاق في الفلسفة النفعية	٢٥٥
المطلب الثاني: الأخلاق في الفلسفة الوضعية	٢٦٢
خاتمة	٢٧٥
الفهرس	٢٧٩



دار الكاتب للنشر والتوزيع
Dar Alkateb for Publishing and Distribution